

مركز التنشئة المسيحية
بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك
دمشق

حلقة بحث في مادة تاريخ الكنيسة
موجز تاريخ الكنيسة الأرمنية
منذ التأسيس حتى القرن السادس

الطالب سرقيس بورنزيان

بإشراف الأب جورج حداد

دمشق - نيسان ٢٠٠٣

الكنيسة الأرمنية

مقدمة :

إن الكنيسة الأرمنية هي من أفضل الكنائس الشرقية نشأة وطقساً ولاهوتاً . لقد بقيت هذه الكنيسة مرتبطة بالأرض والشعب واللغة عبر العصور . فأخذت طابعاً وطنياً متميزاً ، لذا نتفهم ما صرح به أحد أساقفة كاراباخ قائلاً [إن الأرمني الذي لا ينتمي إلى المسيحية لا يعد أرمنياً . إيماننا وهويتنا الوطنية ينبعان من مصدر واحد بالرغم من الأحداث السياسية والدينية التي هزت كيان المسيحيين في الشرق وغيرت مجرى تاريخ كنائسهم ، فإن الأرمن ظلوا محافظين حتى اليوم على وطنهم ولغتهم وإيمانهم وتقاليدهم ، وهذا ما يجعلهم أشد التقافاً حول كنيستهم وأكثر تضامناً فيما بينهم وأقوى ارتباطاً بوطنهم الأم أرمنيا ، فلا عجب أن نقول أن الكنيسة الأرمنية قد قامت عبر التاريخ بدور يتخطى الحدود الطقسية والرعية والروحية ، ويعود الفضل إليها في جمع شمل الأمة الأرمنية ، وفي المحافظة على كيانها وهويتها ، وفي تطور ثقافتها وعاداتها إن في الوطن الأم أو في بلاد المهجر . لذلك فإن المؤمنين الأرمن أينما وجدوا وبالرغم من خلافاتهم المذهبية أو السياسية يشعرون بوحدة قوية تجمع فيما بينهم من حيث الحضارة القومية والتاريخ المشترك والأيمان المسيحيين ، وإن الاضطهادات المتتالية التي تعرضوا لها لم تفصلهم عن جذورهم بل زادتهم تماسكاً وتعلقاً بالدين وجعلت من كنيستهم [كنيسة الشهداء] كما إنها الكنيسة الشاهدة والشهيدة^(١) .

إن العهد القديم يولي أرمنيا مكانة مرموقة فقد وضع في حدودها جنة عدن وجعل سفينة نوح ترسي على جبل ارارات وذكر على لسان الأنبياء نداءات الاستجداء بشعوب ارارات أو الارارتو ، لا نجد ذكراً لأرمنيا في العهد الجديد ولكن ثمة أنجيل منحوت يسمى [أنجيل الطفولة الأرمني] لأن الأصل قد فقد وبقيت الترجمة الأرمنية وفيه تذكر أسماء المجوس الذين زاروا المسيح الطفل في مغارة بيت لحم وهم كسبار وملكون وبغدة صار وهذه الأسماء لا تزال الأكثر انتشاراً بين الأرمن (١)

(١) المطران بطرس مرياتي [كنيسة الأرمن الكاثوليك] ص ١٧ - ١٨

(١) المطران يوسف أرناؤوطي [وعظة بتاريخ ١ تموز ٢٠٠٢ دمشق]

بدايات المسيحية في أرمينيا :

منذ عهد الرسل الأوائل كان للدين المسيحي أتباع وأنصار عديدون بين الأرمن وفي هذا الصدد تذكر التقارير الأرمنية أن التبشير بالسيد المسيح في أرمينيا قد بدأ على يد الرسولين تداوس [٣٥ - ٤٣] الذي بشر في جنوب أرمينيا قادماً إليها من بلاد ما بين النهرين وعلى يد القديس برثلماوس [٤٤ - ٦٠] الذي بشر في الأجزاء الغربية من أرمينيا عندما دخلها من قبادوقية . وعندما استشهد هذان القديسان أعوام ٤٣ - ٦٠ كرستهما الكنيسة الأرمنية فيما بعد باسم المنوران الأوليان وتولي الكنيسة الأرمنية الأورثوذكسية هذا التبشير أهمية تاريخية كبرى لتؤكد كونها كنيسة رسولية (٢) .

وقد كان من نتيجة نشاطاتهما في حقل التبشير أن ارتفع عدد المسيحيين في أرمينيا إلى أعداد كبيرة دفعت الملك أرداشيس الثاني إلى اضطهاد هؤلاء المسيحيين بطريقة موتورة ثم تبعه الملك خسروف الثاني (٢٣٠) بالطريقة ذاتها وهو ما ارتكبه أيضاً الملك درتاد الثالث عام ٢٨٧ ، وأسماء العديد من شهداء المسيحية في هذه الفترة المبكرة من دخول النصرانية إلى أرمينيا معروف عبر الجداول الخاصة بأسماء شهداء الكنيسة الأرمنية وقديسيها (٣) .

القديس غريغوريوس المنور وتنظيم الكنيسة الأرمنية :

يعتبر القديس غريغوريوس أب وشفيع الكنيسة الأرمنية ويلقب بالمنور لأنه أدخل نور المسيح إلى أرمينيا ، وبفضله أعتنق الملك درتاد وحاشيته وأركانه وجميع أفراد الشعب الديانة المسيحية وذلك عام ٣٠١ ، ويفتخر الأرمن بكونهم أول دولة أعتنقت الديانة المسيحية ديانة رسمية ولم يسبقها إلى ذلك سوى بعض الإمارات الصغيرة مثل أمارة الرها وأميرها الأجر . وبذلك أضحت أرمينيا الدولة الأولى في العالم التي أعتنقت المسيحية قبل روما عام ٣١٢ وقبل فرنسا ٤٩٦ وإنكلترا عام ٦٠٥ وألمانيا ٨٠٥ (٤) .

وبالرغم من وجود بعض الجماعات المسيحية قبل تنصير أرمينيا الرسمي فإن الفضل يعود إلى القديس غريغوريوس في تنظيم الكنيسة الأرمنية من حيث التعليم الديني وطقوس الترجية التي أخذها عن كنيسة قبادوقية ، وجدير بالذكر إن القديس

(١) البطريرك اورمانيان ص ٧-٨

(٢) مروان مدور ص ٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤

(٣) مروان مدور ص ٢٧٨

غريغوريوس تلقى الرسامة الأسقفية في قيصرية قبدوقية ويذكر واضع سيرة القديس بأنه رأى حلماً يشير فيه المسيح لمطرفة ذهبية إلى موقع إنشاء كنيسة مع تفاصيل البناء . وهكذا أنشأ في عام ٣٠٣ كنيسة جديدة بحسب الرؤيا بالقرب من العاصمة فاغارشاباد على أنقاض معبد وثني وأطلق عليها أسم اشميزين أي نزول الابن الوحيد (٥) .

الكاثوليكوس ساهاك والراهب مسروب واكتشاف الأبجدية الأرمنية :

في عام ٣٨٧ أقام الملك أرمينيا خسروف الثاني البارثي القديس ساهاك الأول بطريركاً على الكنيسة الأرمنية . وفي عهد هذا البطريرك سمح الملك الفارسي يزدجرد الأول ٤٢٠/٣٩٩ للمسيحيين في مملكته بممارسة طقوسهم الدينية بحرية وعدل عن اضطهاد المسيحيين في دولته إلى حد أن سمح لهم بالمرسوم الصادر عام ٤٠٩ بحريتهم الدينية وبناء الكنائس [وهو المرسوم المشابه لمرسوم ميلان الذي أصدره في الدولة الرومانية الإمبراطور قسطنطين الأول عام ٣١٣] . ثم سمح لرؤسائهم بدولته الفارسية بعقد مجمع ديني مسيحي في سنة ٤٠١ في سلوقية ، أقر هذا المجمع مقررات مجمع نيقية الأول المنعقد عام ٣٢٥ (٦) . الذي كان قد حضره البطريرك اريستادكيس الأول ابن غريغوريوس المنور .

وبالرغم من مرور مائة عام من تنصير أرمينيا لم ترسخ المسيحية بعمق في نفوس المؤمنين فكانت الصلوات والطقوس والقراءات الإنجيلية تقام باللغة اليونانية أو السريانية وذلك لعدم وجود لغة أرمنية مقروءة وكان رجال الأكليروس يكتفون بالترجمة الشفوية إلى اللغة الأرمنية ويقدمون الشروحات البسيطة للكتاب المقدس وكثر أيضاً عدد الكهنة غير الأرمن القادمين من قبدوقية أو الرها . مما أثر في استقلالية الكنيسة الأرمنية التي كانت على علاقة وثيقة مع كرسي القسطنطينية عن طريق قيصرية قبدوقية البيزنطية ومع كرسي إنطاكية عن طريق الرها السريانية . إضافة إلى ذلك فإن بعض الأمراء الأرمن المياليين إلى الفرس عادوا إلى بعض الطقوس الوثنية مثل عبادة النار واستمالوا الكهنة الزردشتيين ، أمام هذا المد الفارسي الذي بدأ يشكل خطراً على الثقافة المسيحية راح الراهب مسروب يبحث عن أبجدية أرمنية خاصة تساعد الأرمن على الحفاظ على استقلالية كنيستهم من

٥- المطران مرياتي ص ٢١

٦- المستشار فؤاد حسن حافظ ص ٦٤

٧- المطران مرياتي ص ٢١ - ٢٢

جهة وعلى الحفاظ على ثقافتهم القومية من جهة ثانية . وتبنى هذا المشروع الكاثوليكيوس ساهاك وشجع الراهب مسروب على المضي قدما في أبحاثه واستطاع في عام ٤٠٦ أن يضع الأبجدية الأرمنية في ٣٦ حرفا مرتكزا على الأبجدية اليونانية والسريانية^(٧) . ويلقب القديس ساهاك بمنور العقول بنور الكتابة كما يلقب القديس (كريكور) غريغوريس بمنور النفوس بنور الإيمان والقديس نرسييس بمنور القلوب بنور المحبة والأخلاق .

وانكب تلامذة القديس ساهاك ومسروب على ترجمة الكتاب المقدس عن النسخة السبعينية وتعتبر الترجمة الأرمنية من أمهات الترجمات . ووصل الازدهار الثقافي إلى أوجه في القرن الخامس فدونت الطقوس للترجية والصلوات الجماعية والكنسية ونقلت إلى اللغة الارمنية كتابات آباء الكنيسة وكتب فلاسفة اليونان ، وتجلب الإشارة إن بعض هذه الكتب فقد أصلها ولم يصل إلينا سوى الترجمة الارمنية مثل بعض كتب مار أفرام وايريناوس وافلاطون .

الكنيسة الارمنية والمجامع المسكونية :

قبلت الكنيسة الارمنية بمقررات المجامع المسكونية الثلاث التي عقدها رؤساء الكنيسة في كل من نيقية ٣٢٥ والقسطنطينية ٣٨١ وافسس ٤٣١ ولم تشترك في مجمع افسس لكنها قبلت جميع تعاليمه وطبقت تعليماته وجميع توصياته .

مجمع خلقدونية والانشقاق الكبير :

حتى نهايات القرن الخامس كانت الكنيسة الارمنية تعتبر من الناحية العملية واحدة من الكنائس المسيحية الأخرى المنتشرة في العالم رغم استقلالها الذاتي بالنسبة لبعض الطقوس الدينية ، إلا أن انعقاد المجمع الخلقدوني عام ٤٥١ جعلت الكنيسة الارمنية تتفصل انفصال شبه نهائي عن الكنائس المسيحية الأخرى وأدى إلى استقلالها نصف الكامل الذي أعقب استقلالها الذاتي الذي كانت تتمسك به^(٨)

(٨)المطران مرياتي .

مجمع خلقدونية وبداية الانفصال :

لم يحضر الأرمن مجمع خلقدونية بسبب حربهم مع الفرس اللذين حاولوا فرض الديانة الزرادشتية على الأرمن فتصدى الأرمن أكليرساً وشعباً يدافعون عن إيمانهم المسيحي ضد الفرس بقيادة القديس وارطان وجرت معركة كبرى في موقع افرابر (تعتبر المعركة الأولى في التاريخ من أجل الدفاع عن الإيمان المسيحي) لم تستطع الكنيسة الارمنية المشاركة في المجمع الخلقدوني بسبب ظروف الحرب ووصلت القرارات المجمعية ورسالة البابا لاون إلى الأرمن بلغة غير دقيقة مما دفعهم للاعتقاد بأن تمييز بين طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية هو نوع من الفصل في الشخص ، وكان مجمع خلقدونية يقسم المسيح إلى شطرين . فهم الأرمن إن الكلام عن طبيعتين بشرية وإلهية في المسيح هو عودة إلى النسطورية التي حرمها مجمع أفسس فتمسكوا بتعليم كيرلس الاسكندري القائل (طبيعة واحدة بكلمة الله المتجسد) وبالتالي رفضوا قرار المجمع الخلقدوني لكن العلاقات ظلت قائمة مع الكنائس الأخرى لفترة معينة ^(٩) .

الانفصال النهائي عن الكنائس الخلقدونية :

في عام ٥٠٦ عقد مجمع في مدينة دوين لمطارنة أرمينيا وإبيريا والبانيا رأسه الكاثوليكوس الأرمني بابكين الأول (٤٩٠ / ٥١٥) وهو مجمع دوين الأول وفيه قرروا من جديد تأييد مقررات مجمع افسس ٤٣١ وإدانة بدعة النسطورية بل ومقررات مجمع خلقدونية لكنهم لم يقطعوا العلاقات مع كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية ثم أنهم لم يتبنوا المذهب المونوفيزيقي .

في عام ٥٥٤ عقد الكاثوليكوس نرسيس الثاني مجمع دوين الثاني لبحث موقف الكنيسة الارمنية من المذاهب المسيحية المتعددة فقرر اعتناق المونوفيزيقية وتأييد مقررات مجمع دوين الأول وإدانة مقررات مجمع خلقدونية ^(١٠)

والكنيسة الارمنية تبنت المونوفيزيقية لكنها ترفض أن تكون هذه المونوفيزيقية بمعنى اوطيخا حيث الناسوت واللاهوت في المسيح ينصهران ويمترجان لكنها تتمسك بالمونوفيزيقية بمعنى كيرلس ومجمع افسس (كي يبقى المسيح واحداً في ناسوته مع لاهوته دون اختلاط ولا امتزاج ولا مزج) ، والكنيسة الارمنية ترش بالحرم الكنسي كلا من عقيدتي نسطور وأوطيخا ، وكنتيجة لمقررات هذا المجمع انضمت الكنيسة الارمنية الرسولية إلى موقف الكنيستين القبطية والسريانية ^(١١) .

الأسباب والظروف والنتائج التي أدت إلى انفصال الكنيسة الارمنية :

- اتخذ الأرمن قرار الانفصال دون حاجة للخوض في أمر صوابه أو خطأه وكان هذا أمراً طبيعياً لأن الكنيسة الارمنية الرسولية كنيسة شرقية وكنيسة رسولية وهي بعيدة عن الفلسفية وتعتقد في المذهب الأوسط في المساوات بين رؤساء الكنائس المختلفة ولأن المذهب اثلمونوفيزيقي كان الأقرب إلى مقررات مجمع نيقية الأول (١٢).
 - اعتبر الأرمن أن مجمع خلقدونية منبراً للتنافس بين مختلف الكراسي البطريركية المختلفة في الدولة البيزنطية الرومانية كما أنهم رفضوا التدخل السياسي في شؤون المجمع الذي كان يمارسه القيصر مرقيانوس الذي رفض تقديم الدعم للأرمن اللذين كانوا يدافعون عن إيمانهم المسيحي ضد الفرس (حرب افرابر ٤٥١) (١٣).
 - إن الغاية من انفصال الكنيسة الارمنية عن باقي الكنائس جاء نتيجة لعوامل سياسية ، بسبب نيل الدولة البيزنطية تحت ستار الكنيسة الشرقية إلى فرض سياستها الخاصة على الأرمن وإذابتهم قومياً في بوتقة قوميتها ، وهو ما رفضه الأرمن وجعلهم يتخذون قرار فصل كنيستهم على الكنيسة الشرقية (١٤) أما النتائج المباشرة لهذا الانفصال النهائي فكان استقلال الكنيسة الارمنية عن الكنائس الأخرى ، وبذلك فهي لا تعترف برئاسة أي من بطريرك القسطنطينية ولا برئاسة بابا روما .
- وتأكيداً لهذا الاستقلال وضع تقويم أرمني جديد جعل بدايته يوم ١١ تموز ٥٥٢ وهناك فارق سنة كاملة عن التقويم الجريجوري (١٥)
- وفي النهاية نرى أن الخلاف لم يكن على الجوهر إنما كان الخلاف على المفردات والتعابير فالإيمان واحد . لكن الخلاف على السلطة والأولوية والظروف السياسية المحيطة بالأرمن هي التي أدت إلى انفصالهم .

(٩) مروان مدور ص ٢٨٢

(١٠) المستشار فؤاد حسن حافظ ص ٧٣

(١١) البطريرك أورمانيان ص ٣٠ - ٣١

(١٢) مروان مدور ص ٢٨٤ - ٢٨٥

(١٣) المستشار فؤاد حسن حافظ ص ٧٥

قائمة المصادر العربية

- ١- دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة المجلد الثاني دار المشرق بيروت ١٩٩٧
كنيسة الأرمن الكاثوليك المطران بطرس مرياتي كبير أساقفة الأرمن
الكاثوليك في حلب .
- ٢- الأرمن عبر التاريخ للمؤلف مروان مدور دار نوبل دمشق الطبعة الثانية.
- ٣- تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم المستشار فؤاد حسن حافظ
القاهرة ١٩٨٦ .

قائمة المصادر الأرمنية

- ١- الكنيسة الأرمنية البطريرك اورمانيان بطريرك القسطنطينية السابق
للأرمن بيروت ١٩٦٠
- ٢- المطران يوسف ارناؤوطي مطران دمشق للأرمن الكاثوليك وعظة سيادته
بمناسبة الاحتفال بمرور ١٧٠٠ عام على تأسيس الكنيسة الأرمنية بتاريخ
١ تموز ٢٠٠١ في كاتدرائية دمشق للأرمن الكاثوليك .